

الْفَضْلُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

تدبر القرآن

إن حصول الانتفاع والتذكر بالقرآن لا يكون إلا لمن تدبره وفهم معانيه، وعاین مواعظه وأوامره ونواهيه، وبهذا التدبر تكون البصيرة والهداية واليقظة؛ وبذلك يصلح القلب وتكون رفته وخشوعه وحياته، وكلما كان تدبر القلب للقرآن أتم زاد الإيمان ورسخ اليقين فيه، وكانت الطمأنينة والسكينة وسعادة الدنيا والآخرة: وأكثر الناس ثباتاً على الدين هو من عقل عن الله أمره وفهم خطابه وأدام تلاوة القرآن والتدبر فيه.

وتدبر القرآن هو فهم معاني الألفاظ وما دلت عليه الآيات، وما دخل ضمن معانيها وما لا تتم المعاني إلا به، قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، قال الطبري: «ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع فيتعظوا ويعملوا به»^(١).

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، فالله تبارك وتعالى يأمر بتدبر القرآن وهو التأمل في معانيه وتحديق الفكر فيه، وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد علماً وعملاً، وبصيرة وفهماً، وسوف نقف مع التدبر وقفات لعل الله يجعل فيها النفع والإخلاص والقبول والحرص على تدبر آيات القرآن.

أهمية التدبر

لا أنفع للعبد في حياته من إقباله على كلام ربه بتدبر وفهم، ومداومة التلاوة والنظر فيه، وهذا التدبر يشمر للعبد ثمرات كريمة، ويؤثر تأثيراً عظيماً في صلاحه وهدايته وثباته، ومن هذه الثمرات التي يجنيها المؤمن من خلال تدبر القرآن ما يلي:

(١) «جامع البيان من تاويل القرآن» لابن جرير الطبري (١٥٣/٢٣).

١ - صلاح القلب وثباته؛

إن في القلب حاجة لا يسدّها إلا ذكر الله وتلاوة كلامه، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بكتاب الله، وفيه قلق وحيرة لا ينجيه منها إلا الاهتداء بنور القرآن؛ ومهما بلغت منزلة العبد في العلم والتقوى فإنه لا يستغني عن القرآن مثبتاً وهادياً ومعيناً قط ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن ^(١)، وذلك لصلاح قلوبها وثباتها على الهدى والدين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٤]، فالتدبر يزيد القلب نوراً وإيماناً وثباتاً كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبْتُ إِلَيْهِ فَوَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هُود: ١٢٠]، لذلك نقول لكل مبتلى ولكل منكوب ولكل أسيف حزين: في القرآن سوف تجد الثبات، سوف تجد سلوة وأنساً وذهاباً لهماك وغمك، اتخذ القرآن أنيساً يغنك ويسعدك، أدم تلاوته وأدمن تدبره وأقبل عليه سوف تجد قرة العين وطمأنينة القلب وهدوء الخاطر وراحة البال والضمير، يقول ابن القيم عليه رحمة الله: فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العالمين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لا شغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير حتى إذا مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب

وأدعى لحصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب، ولهذا قال ابن مسعود: «لا تهذوا القرآن هذا الشعر ولا تنثروه نشر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

وروى أبو أيوب عن أبي حمزة قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث قال: «لأن أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كما تقرأ»^(١)، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: يا ابن آدم كيف يرق قلبك وهمتك آخر السورة^(٢)، قال إبراهيم الخوَّاص: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين^(٣).

٢- محبة الله وخشيته:

من أعظم الأسباب التي تستجلب محبة الله لعبده ومحبة العبد لربه تلاوة القرآن بالتدبر، وكذلك هذا من أعظم أسباب حصول خشية الله في القلب، فمن عرف الله حقاً أحبه لاسيما إذا تدبر كلامه ورأى سابغ النعم وعظيم الفضل، وجلال الأسماء والصفات وعظيم أثرها، والقرآن هو السبيل الأعظم لمعرفة عظمة الله وجلاله وقدرته وكبريائه، وحكمته ورحمته وغير ذلك من صفات الكمال والجمال والجلال، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في ذكر الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى:

أولاً- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه يتفهم مراد صاحبه منه^(٤).

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٨٩-٢٩٠) ط التوفيقية.

(٢) «مختصر قيام الليل» ص [١٥٠].

(٣) «البيان في آداب حملة القرآن» ص [٦١] ط مؤسسة التقويم - بيروت.

(٤) «تهذيب مدارج السالكين» ص [٥١٣] ط المكتبة القيمة.

إن من انشغل بهذا القرآن تلاوة وتدبراً وتعلماً وتعليماً نال من حب الله له بقدر إقباله على كلامه، وتحققت الخشية والخشوع في قلبه بقدر تدبر آياته وفهم معانيه.

٣- الفهم عن الله وطاعة أمره:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٤]، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكير فيه، وتدبرت الشيء: فكرت في عاقبته ودلت هذه الآية: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ [النِّسَاءُ: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٤]، على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه ^(١)، فالله تبارك وتعالى أمر بتدبر كتابه ليفهم عنه دينه وشرعه ويتعبد الله بما أمر جَلَّ جَلَالُهُ، ولا يمكن أن يفهم المرء مراد الله من كلامه إلا إذا تدبره وتأمله وعرف معانيه وتعلم أحكامه، ولا يكون حال المرء كحال الخوارج الذين يقرؤون القرآن لكنه لا يصل إلى قلوبهم ولا يؤثر في نفوسهم؛ لأنهم إنما يرددونه بألستهم دون فقه لمعانيه، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصفهم: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» ^(٢)، وفي رواية: «ولا تعيه قلوبهم».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: قال القاضي: لا تفقه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلوا منه ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق إذ بهما تقطع الحروف، وقيل: لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل ^(٣).

وإنما ضل من ضل عن الهدى وارتكس من ارتكس في أحوال الانحراف بسبب سوء فهمه وعدم تدبره لآيات القرآن، بل يفهم ما يروق له وأخذ منها ما يوافق هواه ويؤيد بدعته، لذا كان أعظم ما يفسر به القرآن هو القرآن فما أُجمل في موضع فُصِّل في

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٥٣/٥-٢٤٥) ط التوفيقية

(٢) رواه البخاري برقم [٧٥٦٢]، ومسلم برقم [١٠٦٣].

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧٦/٤) ط دار الحديث بالقاهرة.

آخر، ثم ما جاء تفسيره في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحيحة، ثم أقوال الصحابة الكرام عليهم رضوان الله قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فليس أنفع للعبد في معاشه ومعاذه وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر فيه على معاني آياته فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانشراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن والناس في شأن آخر، فلا تزال معانيه تنهض بالعبد إلى ربه وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق (١).

٤ - بالتدبر يعظم أجر التلاوة؛

يزداد الأجر في تلاوة القرآن بزيادة التدبر والتأمل فكلما كان التدبر أعظم كان الأجر أكبر وأتم ولهذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرَ مَا يَقُولُ فَلْيُضْطَجِعْ» (٢)، فالمقصود من التلاوة فهم خطاب الله ومعرفة مراده، وأهل التدبر هم أكثر الناس شغفًا بتلاوة القرآن ومداومة عليها وتلذذًا بها، فهم بآيات القرآن ينعمون وترنمون، وبروعة المعاني يُشغلون، وبعبره ومواعظه يعتبرون، وبأحكامه وآدابه يعملون فهم ربانيون مخبتون، عرفوا أصل السعادة فهم به مستمسكون، تقر بالنظر إليهم العيون، وتأنس بالقرب منهم الأرواح والقلوب، فهم قوم فهموا عن الله مراده، وسهرت عيونهم مبتهجة بالنظر في كتاب ربهم والتأمل فيه.

٥ - حصول بركة القرآن والانتفاع بها؛

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠٤]، يقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له فهو أن يلقي سمعه ويحضر قلبه

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٥١-٤٥٢) باختصار ط دار الكتب العربي.

(٢) رواه مسلم برقم [٧٨٧].

ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً وهدى متزايداً وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما فدل ذلك على أن من تُلي عليه الكتاب فلم يستمع له وينصت فإنه محروم الحظ من الرحمة قد فاته خير كثير (١).

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها»، يقول الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «القليل من الدرس للقرآن مع التفكير فيه وتدبره أحب إليّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكير فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين».

٦- عظمة الأثر بتدبر كلام رب البشر:

القرآن يربى من وعاه ويعظم أثره فيمن فهمه، وتدبره يبنى الإيمان وتصاغ النفوس وتُهذَّب الأخلاق، بتدبر القرآن يربى الأبطال والقادة والأئمة، بتدبر القرآن تستعيد الأمة عزتها ومكانتها، ويرجع إليها التمكين المنشود، يقول الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبُّر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه، فالإيمان الصحيح يزداد ويقوى وينمو وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة، وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره، وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار ومَصَّروا الأمصار، واتسع عمرانهم وعظم سلطانهم إلا بتأثير هدايته، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكة يجاهدون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويصدونه عن تبليغ دعوة ربه إلا بمنعه من قراءة القرآن على الناس، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ص [٣٤٥] ط دار ابن الجوزي.

سَمِعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٦]، وما ضعف الإسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلا بهجر تدبر القرآن، وجعله كالرقى والتعاويذ التي تتخذ للتبرك أو لشفاء أمراض الأبدان، وجلت فائدة الصلاة التي هي عماد الدين بتلاوة القرآن مع التدبر والتخشع فإذا زال منها هذا صارت عادة قليلة الفائدة^(١).

٧- أنفع شيء للعبد في معاشه ومعاده:

تلاوة القرآن بالتدبر تغرس في القلب البصيرة والفهم والعلم والهداية، وكما يقول ابن القيم: تراه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه وصراطه الموصل إليه، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه وقواطع الطريق وآفاتنا وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومصحاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترون فيه، وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه، وماله من الكرامة إذا قدم عليه. وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان والطريق الموصلة إليه وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.

فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها ومشاهدتها ومطالعتها فتشده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن كل الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم، فترى الحق حقاً والباطل باطلاً وتعطيه فرقاً ونوراً يفرق بين الهدى والضلال والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً فيصير في شأن والناس في شأن آخر.

(١) «تفسير المنار» (٩/ ٤٥٩) ط دار الكتب العلمية.

ثم يقول:

فلا تزال معانيه -أي القرآن- تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتحوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثه على التضمر والتخفف للقاء اليوم الثقيل وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام وتوقفه عليها لئلا يتعدها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزيف والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته وَوَلَّى في سيره: تقدم الركب وفاتك الدليل، فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل! وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل، وكلما خرج عليه كمين من كائن العدو أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر! فاعتصم بالله واستعن به وقل: حسبي الله ونعم الوكيل.

وفي تأمل القرآن وتدبره وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرناه من الحكم والفوائد (١).

ولله در من قال:

من كان حارسه الكتاب ودرعه	لم يخش من طعن العدو ووخزه
لا تخش من شبهاتهم واحمل إذا	ما قايلتك بنصره ويعزه
والله ما هاب امرؤ شبهاتهم	إلا لضعف القلب منه وعجزه (٢)

موانع التدبر

هناك أمور تحول بين القلب وفهم القرآن، وتشوش على القلب وتشغب عليه وتعرقله عن التدبر، ومن المناسب أن تذكر شيئاً منها قبل ذكر قواعد التدبر، وذلك لأن معرفة الداء نصف الدواء، والوقاية خير من العلاج، واستئصال مادة المرض أولى من تعاطي العقاقير والعلاجات ومن هذه الموانع ما يلي:

(١) «تهذيب مدارج السالكين» لعبد المنعم العزبي ص [٢٤٣-٢٤٤] ط المكتبة القيمة.

(٢) «القرآن في حياة المسلم» د/ محمود محمد عماره ص [٣٠] ط مكتبة الإيمان.

١ - شرود الذهن وانشغال العقل؛

وهذه من أهم وأخطر الأسباب التي تصد عن طلب العلم عامة وتدبر القرآن خاصة، وعلاج ذلك المجاهدة والمطاردة لهذه الشواغل والاستعاذة بالله، وقد يقتضي الأمر رفع الصوت إن كان يقرأ سرًا، أو تغيير المكان إذا كان فيه ما يشغل، ومن أهم ما يدفع هذه الخواطر استحضر أن الاسترسال معها نوع من سوء الأدب مع الله جلَّ جلاله، إذ كيف يخاطبك وأنت مشغول عنه بغيره، فاحذر أن يرى الله من قلبك هذا الالتفات عنه إلى هموم هزيلة وشواغل تافهة، ولا زلتُ أذكر هذا المشهد أنه بينما كنت أقرأ في المسجد يومًا وبين يدي المصحف إذ مرَّ من أمامي بعض الناس فرفعت بصري وجعلتُ أنظر إليهم فقال لي معلّمي وشيخي: هذا الذي تنظر إليه أهم مما أنت فيه من تلاوة القرآن حتى تنشغل به عن كتاب الله؟! فوقع قوله في قلبي وصار يتردد في نفسي من آنٍ لآخر.

٢ - الاهتمام بسرعة الختم وكثرة القراءة؛

كثير من الناس يجعل شغله الشاغل الإكثار من عدد الختمات، ولذلك يقرأ قراءة سريعة دون الوقوف على المعاني وفهم الآيات، والأُنفع للقارئ أن يفقه معاني الآيات ويتدبرها وألا يعجل في قراءته، لاسيما وقد قال ربنا سبحانه: ﴿وَقَرَأْنَا لَهُ فَوْقَ نَارِهِ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [الأنبياء: ٤].

٣ - الإغراق في الاهتمام بالمخارج وتجويد الحروف مع إهمال التدبر؛

من الآفات العصرية المشتهرة والمنتشرة الإغراق في تجويد الحروف وتحسينها والانشغال بها عن تدبر القرآن وفهمه، والمقصود من تلاوة القرآن فهمه والعمل به وليس فقط مجرد إقامة الحروف وأحكام التلاوة، يقول ابن قدامة: وليتخل التال عن موانع الفهم مثل أن يخيل إليه الشيطان أنه ما حققه تلاوة الحروف ولا أخرجه مخرجه فيصرف همته عن فهم المعنى^(١).

(١) «مختصر منهاج القاصدين» ص [٥٠] ط دار العقيدة.

وكثيرٌ هم الذين يهتمون بالقراءات ووجوه الاختلافات مع القصور الواضح في فهم الآيات حتى إذا سئل أحدهم عن معاني بعض الكلمات في القرآن لم يعرف، وإن سئل عن حكم في الحلال والحرام فيه لم يفقه، وإن فتشت قيامه بالقرآن وعمله به لم تجد لذلك أثراً، وهذا من الخطورة بمكان، فإن قارئ القرآن ينبغي أن يكون أول العاملين به المستجيبين له المذعنين لحكمه، وإلا فهو حجة عليهم نسأل الله السلامة والسداد.

٤ - أمراض القلوب والإصرار على الذنوب؛

وهي من أعظم ما يصد القارئ عن اتعاظ قلبه، وانسراح صدره لمواعظ القرآن وفي هذا يقول تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، قال ابن قدامة: ولتخل التالي عن موانع الفهم ومن ذلك أن يكون مصرّاً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلىً بهوى مطاع. فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، فالقلب مثل المرأة، والشهوات مثل الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراعى في المرأة، والرياضة للقلب بإحاطة الشهوات مثل جلاء المرأة^(١)، وكلما كان القلب أصفى والنفس أظهر كلما رسخت فيه معاني القرآن وتمكنت فيه عظاته وأشرقت فيه بيناته وظهرت على القارئ ثمرة التدبر في سمته وخلقه وقوله وفعله، فعلى القارئ أن يطهر قلبه من قذارة الذنوب، وأشباح المعاصي، وكما أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة، فكذلك لا يتمكن قلب مشحون بالكلاّب والصور من تدبر القرآن وفهمه كما ينبغي، فالتخلية قبل التحلية، وإزالة مصدر المرض أنفع وأقرب لحصول الشفاء، ولا ينبغي للمرء أن يدع القراءة تذرّعاً بأنه لا يجيد التدبر، كلا بل يديم القراءة ويجاهد نفسه حتى تستقيم على فهم القرآن وتدبره، والله المستعان.

السبيل إلى تدبر القرآن

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [الْقَمَر: ١٧]، من حكمة الله ورحمته أن يَسَّرَ كلمه، وسهل خطابه؛ حتى يفهمه عباده ويعتبرون به، فمن أقبل على القرآن انتفع وارتفع، واطمأن وسعد، وذلك حينما يصغي إليه بسمعه، وينصت إليه بقلبه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قَت: ٣٧]، إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه سبحانه لك على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قَت: ٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتضى، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه؛ تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبين وأدلة على المراد.

فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ها هنا وهذا هو المؤثر، وقوله: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦١) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴿يَسِّرْ﴾ [٦٩-٧٠]، أي حي القلب.

وقوله: ﴿أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي: وجَّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا هو شرط التأثر بالكلام، وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب، قال ابن قتيبة: استمع لكتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساهٍ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثر وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه وتأمُّله.

فإذا حصل المؤثر وهو «القرآن»، والمحل القابل «وهو القلب الحي»، ووجد الشرط وهو «الإصغاء»، وانتفى المانع وهو «اشتغال القلب وزهوله عن معنى الخطاب»، وانصرف عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو «الانتفاع بالقرآن والتذكر»^(١).

قواعد التدبر

١ - الاستعاذة

تأتي الاستعاذة من الشيطان الرجيم قبل البدء في قراءة القرآن دفعاً لو سوسته وكيدته حيث يحرص الشيطان حرصاً شديداً على شغل القارئ وتشيت عقله وتذكيره بأمور تأخذ بعقله بعيداً عن القرآن، وقد يظل هذا الكيد حتى يغلق المرء المصحف وينصرف سريعاً وما قرأ شيئاً ولذا شرعت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قبل تلاوة آيات الكتاب الحكيم، فقال ربنا العلي العظيم في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿[النحل: ٩٨-٩٩].

والاستعاذة هي الاعتصام بالله واللجوء إليه والاحتفاء به سبحانه من الشيطان الرجيم وكيدته.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أمر سبحانه بالاستعاذة به من الشيطان عند قراءة القرآن وفي ذلك وجوه:

منها: أن القرآن شفاء لما في الصدور، يذهب لما يليقه الشيطان فيها من الوسواس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمره به الشيطان، فأمر أن يطرد مادة الداء ويخلي منه القلب ليصادف الدواء محلاً خالياً فيتمكن منه ويؤثر فيه كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب قد خلا من مزاحم ومضاد له فينجع فيه.

(١) «الفوائد» ص[١٧-١٨] ط دار إحياء الكتب العربية، «التفسير القيم» (٣٦٣-٣٦٤) ط مكتبة الصفا.

ومنها: أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب كما أن الماء مادة النبات، والشيطان يحرق النبات أولاً فأولاً، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعين بالله عزَّجَلَّ منه لئلا يفسد عليه ما يحصل بالقرآن.

ومنها: أن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورَّجِلِه حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهدته على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع أن يستعين بالله عزَّجَلَّ منه.

ومنها: أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته^(١)، والسلف كلهم على أن المعنى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلط القارئ تارة ويخلط عليه القراءة ويشوشها عليه فيخط عليه لسانه أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا أو هذا وربما جمعها له فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه.

ومنها: أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذٍ ليقطعه عنه، وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر، فالشيطان بالرَّصْدِ للإنسان على طريق الخير، ولا سيما عند قراءة القرآن فأمر سبحانه العبد أن يحارب عدوه الذي يقطع عليه الطريق ويستعين بالله تعالى منه أولاً، ثم يأخذ في السير كما أن المسافر إذا عرض له قاطع طريق اشتغل بدفعه ثم اندفع في سيره^(٢).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[الحج: ٥٢].

(٢) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (١/ ١٠١-١٠٢) باختصار ط مكتبة الإيوان.

ويقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعينوا بالله من الشيطان الرجيم وهذا أمر ندب ليس بواجب حكى الإجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة، والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكير^(١).

٢- قطع الشواغل وتركيز الانتباه:

قراءة التدبر ينبغي أن تكون في جو نظيف ليس فيه ما يشغل القلب ويعرقل الفهم كأن يكون مكاناً به الأصوات العالية والضوضاء الصاخبة، وكأن يقرأ في حال شدة التعب والإرهاق، وكأن يقرأ وهو يدافع النوم، وكأن يقرأ بين متحدثين يقطع الواحد منهم عليه قراءته بين الحين والآخر، وإنما ينبغي أن يفرغ القلب والذهن حتى يعي معاني القرآن ويربط بين الآيات وتصل الموعدة إلى قلبه، قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الْجُرُت: ٤]، وهذا من توقير القرآن ومن أهم أسباب تدبره وفهمه، ولا يفهم من ذلك النهي عن القراءة مطلقاً في مثل هذه المواطن لاسيما وقد يحتاج المرء في بعضها إلى أن يأنس بالقرآن وتلاوته، وإنما الذي نعينه القراءة بتدبر وفهم وحصول الموعدة في القلب، ولذلك كانت القراءة في الليل مظنة حضور القلب وانقطاع تلك الشواغل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [الزُّزُل: ٦]، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وقوله ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ هو أجدر أن يفقه القرآن^(٢).

ويقول ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عن مدارس جبريل عَلَيْهِ السَّلَام لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن في كل ليلة من رمضان: المقصود من التلاوة الحضور والفهم لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية^(٣).

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٢٢-٤٢٣) ط التوفيقية.

(٢) رواه أبو داود برقم [١٣٠٤]، وحسنه الألباني.

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٤٥) ط دار المعرفة.

قال الحسن: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدها في النهار^(١).

قال السري السَّقَطِي: رأيت الفوائد تَرْدُ في ظلام الليل.

٢- حسن الاستماع والإصغاء:

قال ربنا جلَّ جلاله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿[الأنعام: ٢٠٣-٢٠٤]﴾ يقول القاسمي رَحِمَهُ اللهُ: لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدي ورحمة أرشد إلى طريق الفوز بما انطوى عليه من منفعه الجليلة، أي: وإذا قرئ القرآن الذي ذكرت خصائصه فاستمعوا له أي: أصغوا إليه بأسما عكم لتفهموا معانيه، وتدبروا مواضعه، وأنصتوا لقراءته حتى تنقضي إعظاماً له واحتراماً لكي تفوزوا بالرحمة التي هي أعظم ثمراته^(٢).

ويقول الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ: هذه دلالة على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن والحصانة من نزغ الشيطان، وهي الاستماع له إذا قرئ والإنصات مدة القراءة، والاستماع أبلغ من السمع؛ لأنه إنما يكون بقصدٍ ونية وتوجيه الحاسة إلى الكلام لإدراكه والسمع ما يحصل ولو بغير قصد، والإنصات السكوت لأجل الاستماع حتى لا يكون شاغلاً من الإحاطة بكل ما يقرأ فمن استمع وأنصت كان جديراً بأن يفهم ويتدبر وهو الذي يرجى أن يُرحم^(٣).

إن شأن المؤمن المحب لربه أن يصغي إلى كلامه بكل شغف وحرص، وأن يستمع إليه بكل أدب وإجلال وتوقير فبهذا يرحم ويرفع على الناس ويقدم.

(١) «التبيان في آداب حملة القرآن» ص [٤١].

(٢) «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي (٢٤٩/٥) ط دار الحديث بالقاهرة.

(٣) «تفسير المنار» (٤٥٧/٩) ط دار الكتب العلمية.

ومن أنفع الأمور في التدبر أن يصغي المرء سمعه لتلاوة قارئ خاشع يبدو الخشوع والخشية والتأثير في قراءته، وكم من معاني تصل إلى القلوب وتأخذ الأبواب من خلال سماع المرء لتلاوة قارئ متقن متدبر مؤثر بقراءته، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حيث قال لابن مسعود: «إني أحب أن أسمع من غيري».

وعن جابر بن عبد الله مرفوعاً «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»^(١).

والإصغاء والاستماع عند تلاوتك أنت لكلام ربك، وعندما تسمع القرآن من غيرك، فاللهم ارزقنا حسن الأدب مع كتابك وحسن الإصغاء والاستماع إليه.

٤ - حضور القلب واستحضار عظمة الرب؛

من أهم أسباب تدبر القرآن والتأثر به حضور القلب ومشاهدته لمعاني الآيات، ومعايشته لأحداث القصص القرآني، وتأمل مشاهد العذاب والنعيم، ومعرفة ما تضمنته آيات القرآن من حكم وأحكام وأخبار وعبر، فيلتقي نور القرآن مع نور الفطرة في القلب فيكون نوراً على نور، فيزيل ويمحو حيثئذ كل ظلمة وشبهة وشهوة، ويبقى القلب طاهراً نقياً يبصر الحق ويؤثره، ويرفض الباطل ويمجّه ويدفعه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: صاحب القلب الحي الواعي يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن فيجدها كأنها كتبت فيه فهو يقرأها عن ظهر قلب^(٢)، صاحب القلب الحي يقبل على معاني القرآن بكل ما يملك من طاقة فيظل فيها مفكراً ومتأملاً متدبراً لا يلتفت عن القرآن إلى غيره؛ لأنه قد استحضر عظمة ربه الذي يخاطبه بهذا القرآن، وإذا كان يعد من سوء الأدب بين البشر أن يكلمك أحد الناس وأنت معرض بوجهك عنه؛ ملتفت بعينك إلى غيره، فكيف يكون الحال إذا خاطبك ربك وأنت منشغل عنه معرض عن خطابه؟! كيف لعاقل أن ينصرف فؤاده عن كلام الله حين

(١) رواه ابن ماجه برقم [١٣٣٩]، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» برقم [١١٠١].

(٢) «الفوائد» ص [١٨].

يتلوه إلى ترهات وسفاهات؟! وكيف لصادق الإيَّان أن يعرض عن خطاب ربه له؟! وكيف لمحب أن يلتفت عن كلام خالقه وفاطره وسيده ومولاه؟!

يقول ابن القيم: إذا أردت الانتفاع بالقرآن؛ فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

٥- معرفة معاني المفردات والكلمات:

كان العرب أصحاب دراية عالية باللغة وأهل تفوق في البيان والفصاحة، وخبراء بالبلاغة وأصولها لذلك كانوا يفهمون القرآن فهماً واضحاً جلياً، وما احتاجوا إلى أن تفسر لهم معاني كلماته، ولم يؤثر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفسير كامل للقرآن، إنما هي قضايا معدودة اشتبه فيها الفهم على الصحابة فبين لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحق والصواب، وأما في عصرنا هذا فقد سرت العجمة في الألسنة، وغاب علم اللغة عن أكثر الناس وما يعرف أحدٌ من الناس اليوم أصول البلاغة العربية إلا قلة من الدارسين لها، وصارت كثير من كلمات القرآن مجهولة المعنى لدى القاعدة العريضة من المسلمين، وهذا لا يعفيهم من ضرورة الفهم والتدبر لآيات القرآن، ولا يُسوِّغ لهم الرضا بهذا الحال المزري ولهذا أقترح بعض البنود لعلها تكون مساهمة متواضعة في تجاوز هذه الأزمة.

(أ) يمكنك اصطحاب كتيب فيه معاني المفردات الغريبة في سور القرآن، ومن ذلك كتاب صغير الحجم كبير النفع وهو (كلمات القرآن تفسير وبيان) للشيخ حسنين مخلوف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهناك بعض المصاحف التي كتبت بهامشها معاني الكلمات فاحرص على مثل هذا حتى إذا مرَّت بك كلمة لا تعرف معناها نظرت في الهامش إلى معناها وهذه النوعية من المصاحف كثيرة متوفرة بحمد الله.

(ب) عقد حلقات تلاوة في المسجد ويبيّن فيها معاني الكلمات، ثم يسأل من تولى بيانها الجلوس في معانيها قبل قيامهم وتفرقهم من ذلك المجلس.

(ج) أن يقرأ إمام المسجد في صلاة الصبح أو العشاء سورة كاملة في أيام متتابعة وبعد انتهاء كل صلاة يبين للمصلين معاني الكلمات الغريبة مع سؤالهم في معاني الكلمات التي سبق بيان معانيها في الأيام الماضية، فإذا انتهت من سورة بدأ في سورة أخرى، والتوفيق من الله.

(د) يمكن عقد مسابقة في معاني الكلمات وذلك بأن تطرح مذكرة ورقية فيها خمسمائة كلمة مثلاً ثم يجري عليها اختبار شفهي أو تحريري، فنكون بذلك ساهمنا في أن يحفظ كثير من الناس معاني كلمات القرآن الكريم، والموفق من وفقه الله، وبالإخلاص والاستعانة بالله ينجح العمل ويؤتي ثمرته بإذن الله.

٦- معرفة أساليب القرآن:

لابد للقارئ الحريص على تدبر القرآن أن يعرف أساليب القرآن، وتراكيب الجمل فيه، حيث إن للقرآن أسلوباً مخالفاً لجميع أساليب العرب ومن أساليب القرآن ما يلي:

أولاً - الحذف البلاغي:

هناك ألوان عديدة من الحذف لا تكاد توجد في غير القرآن، وذلك مثل حذف تركيب كامل، وكما أنه لو نزعنا كلمة من كلمات القرآن لم يوجد في كلام العرب ما يحل محلها، فكذلك أقول إن كل محذوف في القرآن ما كان ينبغي إلا أن يكون محذوفاً، وفي الإيجاز بالحذف هدف تربوي في غاية الأهمية، فلو تصوّرنا قارئاً يترتل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، أفلا تتضاعف يقظته إذا كان يقظاً، أو ينتبه إن كان غافلاً أو يتجدد نشاطه إن كان قد فتر نشاطه بحثاً عن الجواب المحذوف الذي تسكن إليه نفسه ويطمئن إليه قلبه، إن الحذف

بمثابة الأسئلة التي يلقيها المعلم على تلاميذه أثناء الدرس ليجدد نشاطهم ولينبههم إن كانوا عنه غافلين^(١).

وهذه أمثلة للحذف البلاغي في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، «فَنَظِرَةٌ» خبر مبتدأ محذوف، والتقدير فالأمر أو الحكم نظرة، وحذف المبتدأ لأن الكلام موجه إلى بيان الخبر ليتلقى بما ينبغي أن يتلقى به من الامتثال والقبول.

قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [الشورى: ١]، كلمة «سُورَةٌ» خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه، وقد حذف المبتدأ اختصاراً لدلالة الحال عليه، ولتوفر العناية بالخبر.

قال تعالى: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢]، كلمة (خصمان) خبر مبتدأ محذوف تقديره: نحن خصمان، وقد حذف المبتدأ لضيق المقام فحين تسوروا المحراب دخلوا على داود ففزع منهم ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ إسراراً لبث الطمأنينة في قلبه.

قال تعالى: ﴿لَوْلَا فَضْلَتُ ٰإِبْرَاهِيمَ ۚ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، والتقدير أقرآن أعجمي ورسول عربي؟ فحذف المبتدأ لظهور أمرهما واشتغالهما حتى لم يكن ثمة ما يدعو لذكرهما.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الدَّهْرَانِ: ٢٩]، أي: وأنا عجوز فكيف ألد، حذف المبتدأ لضيق المقام لعظم المفاجأة بالبشرى.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ [الزُّلْفَانِ: ٣٢]، أي كل واحدة منها كالقصر فيكون من باب، قال تعالى: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [الشورى: ٤]، أي كل واحد منهما.

(١) «الحذف البلاغي في القرآن الكريم» ص [٣٨-٣٩] ط مكتبة القرآن بالقاهرة والمحذوف المقدر في الآية: (لكن هذا القرآن) جواباً للو.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۚ ﴾ [الْعَنْكَرَان: ١٧٥]، والتقدير يخوف الناس، أوليائه أي: أتباعه وأوليائه الذين يخوف الناس منهم هم الطغاة، وقد أفاد الحذف تهوين شأن الطغاة ومن يرضخ لهم وغضاً من أقدارهم إذ المقام مقام تحريض.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [١١٣-١١٤]، والتقدير: نعم إن لكم لأجراً «وَأَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» [الْإِنْفِرَات: ١١٣-١١٤]، والتقدير: نعم إن لكم لأجراً «وَأَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» فحذف المعطوف عليه لأن حرف الإيجاب «نعم» سد مسدده وأفاد معناه (١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾ [الْأَنْفَال: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الْأَنْفَال: ٣٠]، يقول ابن القيم: ومثل هذا الحذف من أحسن الكلام لأن المراد أنك لو رأيت ذلك لرأيت هولاً عظيماً، وهذه عادة الناس في كلامهم إذا رأوا أموراً عجيبة وأرادوا أن يخبروا بها غائباً عنها يقول أحدهم: لو رأيت ما جرى يوم كذا بموضع كذا، ومنه قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [الْبَقَّة: ١٦٥]، فالمعنى في أظهر الوجهين: لو يرى الذين ظلموا في الدنيا إذ يرون العذاب في الآخرة، والجواب محذوف ثم قال: أن القوة لله جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ ﴾ [سَبَأ: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الْأَنْفَال: ٥٠]، أي لو ترى ذلك وما فيه (٢).

ومن ذلك قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الْبَقَّة: ١٨٣]، أي لعلكم تتقون المحارم عموماً،

(١) «الحذف البلاغي في القرآن الكريم» بانتقاء وهذا الكتاب رسالة ماجستير أعدها صاحبها وأتمها ومات قبل أن تناقش واسمه مصطفى أبو شادي رحمه الله وغفر له.

(٢) «التبيان في أقسام القرآن» ص [١٢] ط التوفيقية.

ولعلكم تتقون ما حرم الله على الصائمين من الزور ومن كل الأحوال والصفات السيئة الخبيثة، ولعلكم تتصفون بصفة التقوى وتحصلون على كل ما يقيكم مما تكرهون.

ومن هذا الحذف ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فَبَدَّلَ على أن المراد لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه وكل ما علمكموه وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة، ولعلكم تذكرون فلا تنسون ولا تغفلون، فتكونون دائماً متيقظين مرهفي الحواس تحسون كل ما تمرون به من سنن الله وآياته فتذكرون جميع مصالحكم الدينية والدنيوية.

ومن الحذف البلاغي قوله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، حذف المتكاثر به ليعم جميع ما يقصد الناس فيه المكاثرة من الرياسات والأموال والجاه والضيعات والأولاد وغيرها مما تتعلق به أغراض النفوس الغافلة عن حكمة الله وسننه فيلهيها ذلك عن طاعة الله.

ثانيًا - ومن أساليب القرآن:

أن الله تعالى يختم الآيات بأسمائه الحسنى وتكون هذه الأسماء هي المطابقة لمعنى الآية فهناك فرق بين استعمال لفظ ﴿عَفْوَ رَحِيمٌ﴾ ولفظ ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ و﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ و﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ يقول السعدي رَحِمَهُ اللهُ في بيان ختام الآيات بأسماء الله الحسنى: ليدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم، وهذه قاعدة لطيفة نافعة عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها تجدها في غاية المناسبة، وتدل على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ومرتبطة بها، وهذا بابٌ عظيمٌ في معرفة الله تعالى ومعرفة أحكامه، وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، فذكر إحاطة علمه بعد ذكر خلقه للأرض والسموات، يدل على إحاطته بما فيها من العوالم

العظيمة، وأنه حكيم حيث وضعها لعباده، وأحكم صنعها في أحسن خلق وأكمل نظام، وأن خلقه لها من أدلة علمه كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فخلقه للمخلوقات وتسويتها على ما هي عليه من إنسان وحيوان ونبات وجاد من أكبر الأدلة العقلية على علمه فكيف يخلقها وهو لا يعلمها.

وقال تعالى: ﴿فَلَنَقْصِءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النُّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وختم كثيراً من الآيات بهذين الاسمين ﴿النُّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ بعد ذكر ما يدعوه العبد إلى التعرض من رحمته ومغفرته وتوفيقه وحلمه حكم جليلة لكل أحد، وأنه لما كان هو التواب الرحيم أقبل بقلوب التائبين إليه ووقفهم للأخذ بالأسباب التي ترجعهم إلى الفطرة السليمة التي يعرفون بها نعمة ربهم، فيقدرونها ويشكرونها ويستجيبون لما يدعوهم بها إليه سبحانه، فيرجعون في كل شئوهم وأمورهم إلى ربهم ويزيدهم من فضله ويتوب عليهم ثم يغفر لهم ويرحمهم، فتاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة وأسبابها، وتاب عليهم ثانياً حين قبل متابهم وأجاب سؤالهم.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، أي فإذا عرفتم عزته وهي قهره وغلبته، وقوته وامتناعه، وعزمتكم حكمته وهي وضعه الأشياء في موضعها وتنزيلها محلها أو جب لكم ذلك الخوف من البقاء على ذنوبكم وزللكم، لأن من حكمته معاقبة من يستحق العقوبة، وهو المصير على الذنب مع علمه، وأنه ليس لكم امتناع عليه ولا خروج عن حكمه وجزائه لكمال قهره وعزته.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ لم يقل: فاعفوا عنهم أو اتركوهم بل قال: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤]، يعني إذا عرفتم ذلك وعلمتموه عرفتم أن من تاب وأناب فإن الله يغفر له ويرحمه، فيدفع عنه العقوبة ويمده بالقوة على الطاعة فكذاك فاعفوا عنه إذا استحق العفو.

ولما ذكر الله عقوبة السارق قال في آخرها: ﴿ نَكَلًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الْمَائِدَة: ٣٨]، أي: عَزَّ وَحَكَمَ، فقطع يد السارق، وعَزَّ وحكم فعاقب المعتدين شرعاً وقدراً وجزاءً.

ولما ذكر المواريث وقدرها في سورة النساء، قال تعالى: ﴿ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١]، فكونه عليماً حكيماً يعلم ما لا يعلم العباد ويضع الأشياء مواضعها فاخضعوا لما قاله وفصله وحكم به في توزيع الأموال على مستحقيها الذين يستحقونها بعلم الله وحكمته (١).

ثالثاً - ضرب الأمثال:

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١]، وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة كالتوحيد وحال الموحد، والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة وتمثيلها بالأمور المحسوسة ليصير القارئ كأنه يشاهد معانيها رأي عين، وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه بهم ومن أمثلة ذلك ما يلي:

مثّل الله الوحي والعلم الذي أنزله على رسوله في عدة آيات بالغيث والمطر النازل من السماء، وقلوب الناس بالأرض والأودية وأن عمل الوحي والعلم في القلوب كعمل الغيث والمطر في الأرض.

مثّل الله كل التوحيد بالشجرة الطيبة التي أكلها دائم كل حين بإذن ربها؛ لأن شجرة التوحيد ثابتة بقلب صاحبها؛ لأنها غرس معرفة وتصديق وتفكر وتدبر لآيات الله وتؤتي أكلها تقوى وإيماناً وإرادة لموجبها وهو منافعها كل وقت من النيات الطيبة والأخلاق الزكية والأعمال الصالحة والهدى المستقيم، دائمة في نفع صاحبها وانتفاع الناس به وهي صاعدة إلى السماء لإخلاص صاحبها وعلمه ويقينه.

مثّل الله الشرك والمشرک الذي اتخذ مع الله إلهًا يتعزز به بأن اتخذه هذا في ضعفه ووهنه كالعنكبوت اتخذت بيتًا وهو أوهن البيوت وأوهاها فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفًا إلى ضعفها، كذلك المشرک ما ازداد باتخاذها وليًا نصيرًا من دون الله إلا ضعفًا، لأن قلبه انقطع عن الله ومن انقطع قلبه عن الله حله الضعف من كل وجه.

مثّل الله عمل الكافر بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء فحين يأتيه وقد اشتد به الظمأ وأنهكه الإعياء يجده سرابًا.

ومثله بر ماد الشيء المحترق فجاءته الرياح فذرته فلم تُبق منه باقية، وهذا مناسب لحال الكافر وبطلان عمله، فإن كفره ومعاصيه بمنزلة النار المحرقة لكل ما يأتي من عمل فيدعه ترابًا يظنه بجهله وغبائه وتقليده الأعمى أنها أعمال صالحة فإذا جاءها يرجو ثوابها جعلها الله هباءً منثورًا^(١).

والأمثلة في القرآن كثيرة مشهورة لكن قلّ من تفكر فيها وعقلها وفهمها.

ومن أساليب القرآن الالتفات، وقد سبقت الإشارة إليه، ومنها اختلاف القصة باختلاف السياق الذي وردت فيه، وغير ذلك كثير من أساليب القرآن فمن عرفها سهل عليه تدبر القرآن وأخذ العبرة والعظة منه والله المستعان.

رابعًا - حروف الجر تتناوب:

تستعمل حروف الجر بعضها مكان بعض في لغة العرب وقد جاء ذلك في كتاب الله تعالى وهذه أمثلة وشواهد^(٢).

تستعمل «في» مكان «على».

(١) «القواعد الحسان بتصرف وانتقاء» ص[٥٤-٥٩] القاعدة رقم [٢٢].

(٢) إذا أردت أن تعرف شواهد ذلك في لغة العرب فارجع إلى كتاب «تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة» ص [٢٩٨] ط دار الكتب العلمية ومنه اختصرت هذه الشواهد وانتقيتها.

قال تعالى: ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي: على جذوع النخل.

ومن ذلك «الباء» مكان «عن»، قال تعالى: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، أي: فاسأل عنه.

وتستعمل «عن» مكان «الباء» قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [الجن: ٣]، أي: بالهوى.

وتأتي «اللام» مكان «على»، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢]، أي: لا تجهروا عليه بالقول، والعرب تقول: سقط فلانُ فيه أي على فيه.

وتأتي «إلى» مكان «مع»، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي مع أموالكم.

وتأتي «اللام» مكان «إلى»، قال عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [٤] بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزال: ٤-٥]، أي: أوحى إليها، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الإنشراح: ٤٣]، أي: إلى هذا.

وتأتي «من» مكان «الباء» قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرحمن: ١١]، أي: بأمر الله، وقال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [الأنعام: ١٥]، أي: بأمره.

وتأتي «الباء» مكان «من» تقول العرب: شربت بماء كذا وكذا، أي: من ماء كذا وكذا، وقال تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨]، قال تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦]، ويكون بمعنى يشربها عباد الله ويشرب منها.

وتأتي «من» مكان «على»، قال تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٧]، أي: على القوم.

وتأتي «عن» مكان «من»، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى: ٢٥]، أي من عباده، تقول: أخذتُ عنك كذا، أي منك.

٧- تشغيل الحواس والجهر بالتلاوة:

القراءة الصامتة يحصل فيها شرود الذهن وانشغال الخاطر كثيرًا لذلك فإذا رفع القارئ صوته فكان في منزلة وسط كان ذلك أدعى للتدبر وجمع القلب والعقل على المعاني، قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به»^(١).

ومما يدل على العناية بالجهر بالقراءة ما رواه أبو قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ لَيْلَةً، فَإِذَا بِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصِلِي يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ وَمَرَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَصِلِي رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ؟ «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَصَلِي تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ؟» قَالَ: قَدْ أَسْمَعْتُ مِنْ نَاجِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ لِعُمَرَ: «مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تَصَلِي تَرْفَعُ مِنْ صَوْتِكَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْقِظْ الْوَسْطَانِ وَأُطْرِدِ الشَّيْطَانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا» وَقَالَ لِعُمَرَ: «اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا»^(٢).

٨- تكرار الآية إذا لم يفهم معناها حتى تفهم:

إذا مرت بالقارئ المتدبر لكلام الله آية لم يفقه معناها فلا بأس من تكرارها، وإذا مرت به آية أثرت في قلبه وأحدثت فيه موعظة وعبرة فلا بأس من تكرارها من أجل فهم المعنى وتوكيد الأثر الحاصل من تلاوتها، فهذا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورد عنه أنه ردد قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، وعن سعيد بن جبیر أنه ردد قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا ﴾

(١) رواه البخاري برقم [٧٥٢٧].

(٢) رواه أبو داود رقم [١٣٢٩]، وصحح الألباني في «صفة الصلاة» ص [١٠٩].

تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴿الْبَقَّة: ٢٨١﴾، وردد قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿عَاقِر: ٧٠-٧١﴾، وروي عنه أنه أحرم بنافلة فاستفتح قول الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿الانْفِطَار: ١﴾﴾، فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر.

وعن عامر بن عبد قيس رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قرأ ليلة سورة المؤمن (غافر) فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرُهمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴿عَاقِر: ١٨﴾﴾، فلم يزل يرددها حتى أصبح، ونقل عنه أنه قرأ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا يَلَيْسَ نَرُدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِمَا نَبَأَ رَبُّنَا ﴿الْأَنْجَاف: ٢٧﴾﴾، فجعل يبكي ويردها حتى أسحر.

وقال محمد بن كعب: لأن أقرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿و﴾ الْفَكَارَةُ ﴿أرددها وأتفكر فيها أحب إلى من أن أبيت أهد القرآن.

وقام تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بآية حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿الْحَاشِيَةُ: ٢١﴾﴾^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح، ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا قرأه بتفكر حتى إذا مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن^(٢).

ويقول ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه فإن التدبر هو المقصود من القراءة وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليردها^(٣).

(١) انظر الآثار في: «البيان» للنووي ص [٦٢]، و«مختصر قيام الليل» للسمرقندي ص [١٤٨]، و«تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٠٧-٨٤٨).

(٢) «مفتاح دار السعادة» ص [٤٠٢].

(٣) «مختصر منهاج القاصدين» ص [٦٨] ط دار البيان.

٩- معايشة المعاني وترتيب الآيات:

وذلك بأن يستشعر إذا قرأ قصة من قصص الأنبياء أو مشهداً من مشاهد الآخرة كأنه حاضر فيه يفعل بها يراه ويحس بما يشاهده، فإذا قرأ آية في وصف النار استشعر حرها وسعيرها وارتجف قلبه من هولها، وإذا قرأ آية في ذكر القيامة فزع قلبه واهتز فؤاده وارتعدت فرائضه؛ لأنه يؤمن أن هذا واقع بلا ريب حاصل بلا شك فإذا كنت فيه فكيف يكون حالي وكيف يكون موقعي؟ وإذا قرأ آية في وصف الجنة تلذذ تنعيمها وارتاع قلبه بالشوق إليها، وظل في تلاوته كأنه ينظر إليها، وإذا قرأ قصة من قصص الأنبياء اشتد حزنه من تكذيب قومه له، وإعراضهم عن دعوته، واشتد فرحه بعد ذلك لنصرة الله لذلك النبي وحفظه له ولطفه به وانتقامه له من المكذبين فيزداد حبه لأنبياء الله ورسوله ويزداد تمسكاً بهديهم، والاهتداء بهم في دروب الحياة المعاصرة، إذ إن التاريخ يعيد نفسه: قال تعالى: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٧٥].

وهذا هو نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا هذا المعنى في تلاوة القرآن فكان إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سَبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤال سأل وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ، كما في صحيح مسلم من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صليت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سَبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤال سأل وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ^(١).

وعن حفصه أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها^(٢).

(١) رواه مسلم برقم [٧٧٢].

(٢) رواه مسلم برقم [٣٧٣].

وسئل مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللهُ عَنْ رجل قرأ البقرة وآل عمران ورجل قرأ البقرة قراءتهما واحدة وركوعهما وسجودهما وجلسهما أيهما أفضل؟ فقال: الذي قرأ البقرة ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وفي رواية قال: إن أحب الناس إلى الله أعقلهم عنه^(١).

وقرأ علقمة - وكان حسن الصوت - على ابن مسعود فكأنه عجل فقال عبد الله: فذاك أبي وأمي رتل فإنه زين القرآن.

وعن ابن أبي ذئب عن صالح قال: كنتُ جازًا لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وكان يتهجَّد من الليل فيقرأ الآية ثم يسكت قدر ما حدثتك وذلك طويل ثم يقرأ قلت: لأي شيء فعل ذلك؟ قال: من أجل التأويل يفكر فيه^(٢).

١٠- مداصلة القرآن:

من أهم أسباب التدبر والفهم للقرآن معرفة تفسيره وأحكامه وأوامره ونواهيه، فنحتاج في هذا الآن إلى تكثيف المداصلة والمباحثة المنهجية المنضبطة بقواعد التفسير المرضية الموروثة عن السلف، نريد تدارس القرآن في المساجد والمعاهد، في الكليات والحلقات، للرجال والنساء وللصغار والكبار كل بحسب استيعابه، نريد دعاة موفقين يعقد درسًا في التفسير ولو قراءة من كتاب لدقائق، ككتاب «تفسير السعدي» وكتاب «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير»، وكتاب «أيسر التفاسير للجزائري» وغير ذلك، نريد ندوات ودورات تقام لتفسير القرآن أو تناول بعض السور بالشرح والتفسير ويراعى فيها سهولة طرح وتيسير الفهم، وإسقاط المعاني على واقع الناس في حياتهم ولكل حريص على تحقيق هذه المداصلة وترسيخها في الأمة نقول له: أبشر بثواب الله لك فما قرئت آية ولا فهم معنى إلا وهو في ميزانك، ما انعقد مجلس يذكر فيه اسم الله إلا وهو

(١) «البيان» ص [٦٥].

(٢) «مختصر قيام الليل» للسمرقندي ص [١٤٩].

مضاف إلى حسناتك وليكن في قلبك وعقلك وخاطرك قول رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (١).

ولنتأمل هذا المعنى، قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين يقرؤنا، عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمت القرآن والعلم والعمل جميعاً.

وفي رواية أخرى: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها (٢).

وقال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللهُ: أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل.

وقال الحسن البصري: والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يُعَلَّمَ فيها أنزلت وما يعني بها.

وقال الشعبي: رحل مسروق إلى الرقة في تفسير آية، ف قيل له إن الذي يفسرها رحل إلى الشام، فتجهَّز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مكثت ستين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين

تظاهرتا على رسول الله ﷺ ما يمنعني إلا مهابته فسألته فقال: هن حفصة وعائشة (٣).

وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن ولا يعلمون تفسيره كمثل

قوم جاءهم كتابٌ من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتدخلتهم روعة ولا يدرون

(١) رواه مسلم برقم [٢٦٩٩].

(٢) «مقدمة تفسير ابن كثير» (١/ ١٤) ط التوفيقية.

(٣) رواه البخاري برقم [٥١٩١]، ومسلم برقم [١٤٧٩].

ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب (١).

١١- قراءة القرآن بقصد العمل به؛

المؤمن الذكي العاقل التقي من يقرأ القرآن ويعلم حال قراءته أن هذا خطاب الله له، وأمر من الله إليه، فلذا يتلو القرآن ليؤدب به نفسه ويهذب به خلقه، ويزيد به علمه، ويسعد به روحه، ويطمئن به قلبه، همته متى أكون من المتقين، متى أكون من الخاشعين، متى أكون من الصابرين، متى أزهد في الدنيا، متى أنهى نفسي عن الهوى، قال الحسن البصري: إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن قد قرأه (٢).

وجاء رجل بابنه إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: إن ابني هذا قد جمع القرآن فقال: اللهم غفراً، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع (٣).

والمقصود أن يقرأ القرآن بنية البحث عن علم ليعمل به فيقف عند آياته فينظر ماذا يريد منه، هل في الآية أمرٌ أم نهي؟ فضيلة يتحلى بها المؤمن أم خطر يحيق به يجب الحذر منه؟ إنها قراءة يقظة وتلاوة حية يعي فيها العبد ماذا يقرأ، ولماذا يقرأ ومن الذي يخاطبه، ويستحضر بذلك أنه يناجي ربه جَلَّ جَلَالُهُ، عن عبد الله بن المبارك قال: سألت سفيان الثوري قلت: الرجل إذا قام إلى الصلاة أي شيء ينوي بقراءته وصلاته؟ قال: ينوي أنه يناجي ربه (٤).

(١) انظر هذه الآثار في: «تفسير القرطبي» (٤٣/١) ط التوفيقية.

(٢) «قاعدة في فضائل قراءة القرآن» لشيخ الإسلام ابن تيمية ص [٥٩]، نقلاً عن «مفاتيح تدبر القرآن» ص [٤٠] ط دار الصديق.

(٣) المصدر السابق ص [٥٩].

(٤) «تعظيم قدر الصلاة» ص [٩٢].

هدي السلف في تدبر القرآن

إن مما يبعث القلب على تدبر القرآن، ويدفع النفس إلى التفكير فيه مطالعة حال السلف والنظر في سيرهم وكيف كان تدبرهم للقرآن، وكيف كان شغفهم به وحرصهم عليه، ومدادومتهم على تلاوته وتدبره، وكيف كان تأثرهم بآياته وانفعالهم بحكمه وعظاته، وكم كان حرصهم عظيمًا على معرفة مراد ربهم منهم، وما كان هذا إلا لصدقهم في إيمانهم، وعظمة انتمائهم لدينهم، ورسوخ اليقين في قلوبهم، فاللهم كما أنعمت عليهم بهذا الفضل فإننا نسألك من فضلك العظيم ورحمتك الواسعة يا غني يا كريم يا ذا الفضل العظيم.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكثر أنصاريٍّ بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [الْعَنْزَل: ٩٢]، قام أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إن الله يقول في كتابه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [الْعَنْزَل: ٩٢]، وإن أحب أموالي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بخ، ذلك مالٌ رابح قد سمعتُ ما قلت فيها، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه ^(١).

عن أبي ذئب عن صالح قال: كنت جارا لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وكان يتهجَّد من الليل فيقرأ الآية ثم يسكت قدر ما حدثتك، وذلك طويل، ثم يقرأ قلت: لأي شيء فعل ذلك؟ قال: لأجل التأويل يفكر فيه ^(٢).

(١) رواه البخاري [٢٧٦٩]، ومسلم [٩٩٨].

(٢) «مختصر قيام الليل» ص [١٤٩].

قال ابن أبي مليكة: سافرت مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من مكة إلى المدينة فكان يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً ثم يبكي حتى تسمع له نשיجاً^(١).

وعن عكرمة قال: جئت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو يبكي، وإذا المصحف بين يديه في حجره فأعظمت أن أدنو منه، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلستُ فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك؟ فقال: هؤلاء الورقات، وإذا هو في سورة الأعراف وذكر له أصحاب السبب ثم قرأ ابن عباس: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوُكَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِصَمٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، قال: فأرى الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها قال: قلت: جعلني الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، قال: فأمر لي فكسيت ثوبين غليظين^(٢).

وروي أن عبد الله بن رواحة بكى فبكت امرأته فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أبكاني الذي أبكاك، قال: أبكاني أي وارد النار فلا أدري أناج منها أم لا؟ وإنما عني بالورود ما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [برئ: ٧١].

وعن ابن أبي مليكة قال: إن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت لا تسمع شيئاً لا تفهمه إلا راجعت فيه حتى تفهمه وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من حوسب عُذْبٌ» قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فقلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِمِيزَانٍ﴾ [٧] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الأنبياء: ٧-٨]، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب»^(٣).

(١) المصدر السابق [١٣١]

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٣٥٩) ط التوفيقية.

(٣) «الفتح» (١/ ١٩٧) ط دار المعرفة.

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وقد وقع نحو ذلك لغير عائشة، ففي حديث حفصة أنها لما سمعت «لا يدخل النار أحدٌ شهد بدرًا والحديبية» قالت: أليس الله يقول: ﴿وَلِنْ مِنْكُمْ إِيَّاهُ وَارِدُهَا﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٧١]، فأجابها بقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٧٢]، وسأل الصحابة لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٨٢]، أينما لم يظلم نفسه؟ فأجيبوا بأن المراد بالظلم الشرك، قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره.

قالت أم ولد الحسن البصري: رأيته فتح المصحف فرأيت عيناه تسيلان وشفثاه لا تتحركان.

ويقول إسحاق بن إبراهيم الطبري عن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: كانت قراءته حزينة شبيهة بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مرَّ بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ويسأل.

وقال إبراهيم بن الأشعث رَحِمَهُ اللهُ: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من يحضره.

قال إبراهيم بن الأشعث أيضاً: كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٣١]، بكى وقال: اللهم لا تبتلنا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.

وقال أحمد بن أبي الحواري: إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهينهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله!! أما إنهم لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه فتلذذوا به، واستحلوا المناجاة لذهب عنهم النوم فرحاً بما قد رزقوا.

ويقول مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللهُ: عرضت المصحف على ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.

ويقول أبو عبد الله بن بشر القطان: ما رأيت رجلاً أحسن انتزاعاً لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل وتلاوة القرآن، فلكثرة درسه صار القرآن بين عينيه ينتزع منه ما شاء من غير تعب.

قال بعض السلف: إني لأفتح السورة فيوقني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر.

وقال بعض السلف أيضاً: آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعد لها ثواباً.

وقال أبو سليمان الداراني: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها.

وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها.

وقال بعضهم: لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد.

وقال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني، وقال جعلت القرآن عليّ عملاً، اذهب فاقراً على الله عَزَّوَجَلَّ فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك.

مثال للتدبر العملي:

لقد جمعت في القرآن المعاني العظيمة في اللفظ القليل وإن شئت أن تعرف هذا المعنى واقعياً، فتدبر قوله سبحانه: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الاعراف: ١٩٩]، انظر كيف جمع له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الكلام كل خلق عظيم لأن في أخذ العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالعرف تقوى

الله وصلة الأرحام ووصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن الحرمات وإنما سُمي هذا وما أشبهه عرفاً ومعروفاً لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن إليه، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن ممادة السفهيه ومنازعة اللجوج.

كذلك تدبر قول الله تعالى في ذكر الأرض: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النَّازِعَات: ٣١]، تأمل كيف دلّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام من العشب والشجر والحب والتمر، والخطب واللباس والنار والملح، لأن النار من العيدان والملح من الماء ويتك أنه أراد ذلك قوله: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ كُمْ﴾ [النَّازِعَات: ٣٣].

كذلك تدبر قول ربك جَلَّ جَلَالُهُ في ذكر نبات الأرض: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبَّ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾ [الرَّحْمَن: ٤]، انظر كيف دل على نفسه ولطفه ووحدانيته، وهدى للحجة على من ضل عنه، لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والتربة لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذ انبت في مغرس واحد وسقي بهاء واحد، ولكنه صنع اللطيف الخبير.

وكذلك تدبر قوله تعالى في وصف خمر أهل الجنة: ﴿لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [الْوَاقِعَات: ١٩]، تأمل كيف نفى عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله ﴿يُزْفُونَ﴾ عدم غياب العقل وذهاب المال ونفاذ الشراب^(١).

